الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2282 - السنة الثامنة
الثلاثاء 22 ذي الحجة 1436 - الموافق 6 اكتوبر 2015
Tuesday 6 October 2015 - No.2282 - 8th Year

العالم تتقاسمه ثقافات تتباين فيما بينها في اتجاهات متعددة ومختلفة

موقف الإسلام من الحضارات الأخرى

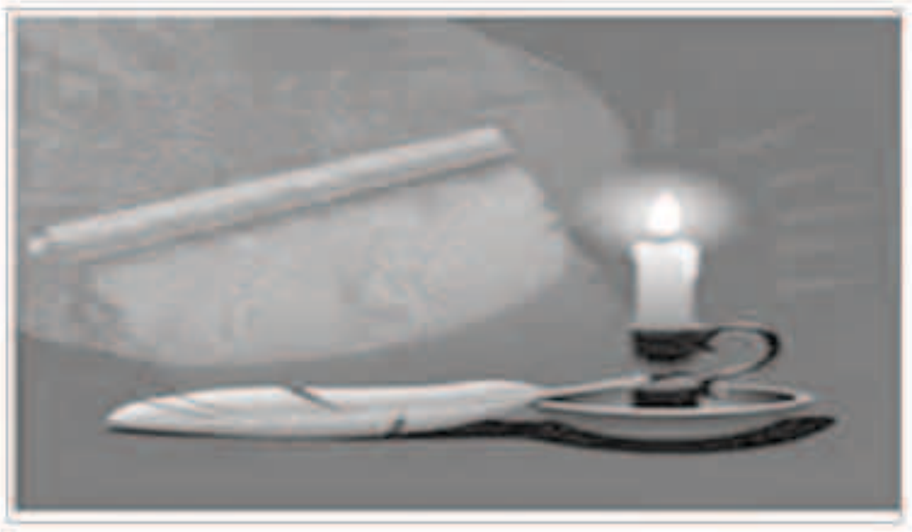

■ يبين الله تعالى في آيات كثيرات من القرآن الكريم أنه سبحانه قد خلق هذا الكون وفق منهج سنني مطرد

■ ليس التقدم الحضاري حكرًا على أمة من أمم الأرض دون غيرها كما تزعم بعض النظريات العنصرية

تتقاسم العالم ثقافات مختلفة، تمتد كل منها في مناطق كبيرة من العالم، وقد سيطرت الثقافة الغربية في هذا العصر على بقية الثقافات، نظرًا لأنها مدعومة عسكريًا وإعلاميًا واقتصاديًا وسياسيًا، لذا سيكون التركيز في بيان الموقف منها بسبب ذلك، وهناك عدة اتجاهات في الموقف منها، وهي:

1 - الاتجاه السلبي: يرى اتباعه عدم الأخذ أو الاتصال بأي من الثقافة والحضارة الغربية، وعدم الاستفادة من كل ما انبثق عنها من منافع في مختلف المجالات، برفضون الثقافة الغربية، لأنهم ينظرون لسلبياتها وما تحمله من أمراض لذا جاء الرفض لها ككل، وهذا الموقف لا يتناسب مع الأصول الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلى الإفادة من كل شيء لا يصادم أصول الإسلام؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.

2- الاتجاه التغريبي: يدعو أصحابه إلى الأخذ بكل أسباب الثقافة والحضارة الغربية، مقبلاً على كل معطياتها خيرها، وشرها، من علم، وصناعة، وثقافة، وحتى أسلوب الحياة؛ لأنهم يرون أن الثقافة كل لا يتجزأ، إما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها، ويكثر هذا الاتجاه لدى العلمانيين أمثال طه حسين وغيره والحداثيين.

3 - الاتجاه التوفيقي: يرى اتباعه التوفيق بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وفي حال حدوث تعارض، يرون أنه لابد من تقريب بعض مبادئ الإسلام التي تتعارض مع حضارة الغرب وثقافته، وتطوير تلك المبادئ حتى تواكب حضارة الغرب.

انطلق هذا الاتجاه من الحاجة الماسة لمواجهة كثير من القضايا المستجدة، لكنه انتهى إلى المطالبة بالنظر في التشريع الإسلامي كله، والقيام بمحاولة التوفيق بين الثقافة الإسلامية والغربية من خلال الدعوة إلى تقريب المبادئ بينهما، وتطوير الإسلام ليتناسب مع معطيات الثقافة الغربية، مع الميل إلى تبني الثقافة الغربية، والبحث عن الأدلة المؤيدة لذلك من أقوال العلماء والمفكرين المسلمين بحجة أن مصالح المسلمين تتطلب هذا التطوير، وفي هذا مسخ للإسلام وتشريعاته، وتشويش على المسلمين مع تفريق وحدتهم.

4 - الاتجاه المعتدل: يرى اتباعه أن يحتفظ المسلمون بإسلامهم وثقافتهم المتمثلة في الكتاب والسنة، مع الوقوف عند حدود الفكر الإسلامي الأصيل، مع الإفادة من خير ما أفادت منه المدنية الغربية في شتى المجالات من العلوم التجريبية، فيرون أخذ المناسب من الحضارة الغربية، وترك ما لا يناسب منها؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من كل أحد ما لم تعارض ثقافته[1].

وهذا الاتجاه الأخير هو الاتجاه الصحيح الذي يحاول الوقوف في وجه تحديات الثقافة الغربية مع الاستفادة من المفيد فيها.

هذه المواقف الأربعة بتوجهاتها المختلفة، أثرت في المجتمع الإسلامي بصورة لا يمكن تجاهلها؛ لأنها أدت إلى اضطرابات سياسية، وتصدعات اجتماعية، وصراعات داخلية، انهكت الأمة، ومزقت شملها، وأحدثت الفرقة بين صفوفها، مما ساعد كثيرًا على تغلغل الفكر والثقافة الغربية بطريقة قوّت حدة التناقض في الحياة العملية والمعنوية، نتيجة لتناقض الحاد بين المواقف والأفكار المحيطة بالفرد المسلم، الذي وقع أسيرًا لها، والوهن العقدي، والفوضى الفكرية، والتخبط السلوكي.

الحوار بين الحضارات

وقبل الدخول في حوار الحضارات نمهد بتعريف الحوار والحضارات.

أما الحوار في اللغة من الحور وهو الرجوع، ويتحاورون أي يتراجعون الكلام[2].

وقد ورد في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم كلها تظهر الاختلاف بين المتحاورين ومحاولة إقناع بعضهم بعضا، الأول ورد في قصة أصحاب الجنة وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرًا [الكهف: 34]. والثاني فيها أيضا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا [الكهف: 37]. والثالث في أول سورة المجادلة قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير [المجادلة: 1].

ونفهم من هذه المواضع الثلاثة أن الحوار مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين مختلفين.

ويتفق الحوار مع الجدل والمناظرة والمحاجة في كونه مراجعة الكلام وتداوله بين عدة أطراف، إلا أن الجدل يأخذ طابع القوة والغلبة والخصومة وهو مأخوذ من معناه اللغوي حيث يسمى شدة الفتل جدل، والجدال من الإبل الذي قوي ومشى مع أمه[3].

ولفظة الجدل مذمومة في غالب آيات القرآن الكريم، حيث وردت في تسعة وعشرين موضعا[4]، مثل قوله سبحانه: ما ضربوه لك إلا جدلا [الزخرف: 58] ولم يمدح الجدل إلا إذا قيد بالحسنى وجاء ذلك في موضعين، في قوله سبحانه: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن [العنكبوت: 46]. وقوله سبحانه وتعالى: وجادلهم بالتي هي أحسن [النحل: 125].

وأما الحضارة فهي في اللغة من الحضر وهي الإقامة في المدن والقرى وهي ضد البداوة، قال القطامي:

فمن تكن الحضارة أعجبته
فأي رجال بادية ترانا[5]

وفي العصر الحديث أطلق البعض هذا المصطلح على كل نتاج مادي لأمة من الأمم من عمران ومخترعات وابتكارات وتنظيمات. وتوسع النطاق ليشمل بالإضافة على النتائج المادية القيم الدينية والثقافية[6].

وعليه فكل أمة تشترك في هذه المعاني لها حضارة تخصها، فهناك الحضارة الإسلامية، والحضارة الأوروبية الغربية المسيحية، والحضارة الأوروبية الشرقية المسيحية، والحضارة الهندية، وحضارة الشرق الأقصى[7]وغير ذلك.

أولا: الإسلام دين الحوار:

الحوار منهج قرآني، فقد كلم الله ملائكته واستمع منهم وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون [البقرة: 30].

وكذلك رسله وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب [المائدة: 116]، وحتى مع الكافرين قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا × قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى [طه: 125، 126].

وحتى مع إبليس قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين [الأعراف: 12].

والقرآن مليء بمحاورات الرسل مع أقوامهم قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض [إبراهيم: 10].

وتأمل حوار إبراهيم عليه السلام مع مدعي الربوبية ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين [البقرة: 258].

وحوار موسى مع فرعون مدعي الألوهية والربوبية في سور عديدة في القرآن، وكذلك بقية الرسل عليهم صلوات الله وسلامه حيث يحاورون أقوامهم بالحكمة لدعوتهم إلى الله وبيان الحق لهم والرد على شبهاتهم.

وهذا القرآن يحكي حوار النبي - صلى الله عليه وسلم - مع امرأة قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير [المجادلة: 1].

وحضارتنا الإسلامية على مدى التاريخ هي حضارة الحوار فقد حاور علماء المسلمين كافة أهل الملل والنحل بالمنهج القرآني والدعوة إلى الخير[8].

ثانيًا: أهم أهداف الحوار في الإسلام:

1 - الدعوة إلى الإسلام، وعبادة الله وحده لا شريك له: وهذا أسمى هدف وأحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين [فصلت: 33]، ومعرفة الله هي أعظم حقيقة، وعبادته هي الحكمة من خلق البشر وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [الذاريات: 56] ويترتب عليها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى × ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى [طه: 123، 124].

ويدخل في ذلك إبراز محاسن الإسلام والرد على شبهات أعدائه وإيضاح الحقيقة العظيمة في الحكمة من خلق البشر وما يراد منهم وما يراد بهم وما مصيرهم.

فالحوار مطلب إسلامي لكي نقوم بواجبنا تجاه الأمم الأخرى ليس لإفادة أنفسنا فحسب بل لفائدة الأمم الأخرى أيضا لتوصل إليها الخير الذي أمرنا به.

فالأمة الإسلامية هي صاحبة الرسالة الأخيرة، وعليها واجب البلاغ، قال تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون [آل عمران: 110].

اعبد الله كأنك تراه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس، فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر». قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك». قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها(1) فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله». ثم تلا صلى الله عليه وسلم: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام» إلى قوله: «إن الله عليم خبير» (لقمان: 34).

ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ردوا علي الرجل، فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم». (م1/30)

هذا حديث عظيم، وهو ركن من أركان العلم لما حواه من كنوز لا تخفى، وقد تناوله جهابذة العلماء قديما وحديثا بما يشفي، قال القاضي عياض -رحمه الله- : «وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة اليه ومتشعبة منه»(2).

ولكن أشير هنا إلى ما ورد في تعريف الإحسان فأقول: لو أن هذا المعنى خالط بشاشة القلوب وآمنت به واستحضرته، لما أقدم كثير من الناس على معصية الله، فلو شعر أحدهم أن بشرا يطلع عليه وهو يعصي الله لأقلع فورا عن معصيته، فكيف والمطلع عليه ملك الملوك رب العالمين؟

يذكرون أن أعرابيا خرج بليل، فوجد جارية فراودها، فقالت: أمالك زاجر من عقلك، إذا لم يكن لك واعظ من دينك؟ فقال: والله ما يرانا إلا الكواكب! فقالت له: يا هذا وأين مكوكبها؟ فأخجله كلامها، فقال لها: إنما كنت مازحا، فقالت:

فإياك إياك المزاح فإنه
يجرّي عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه
ويورث بعد العز صاحبه ذلا

إذن فالخلل ناتج عن ضعف في اليقين والمراقبة، ومعالجة هذا الخلل كفيلة -بإذن الله- بالقضاء على آثاره، قال النووي -رحمه الله- :«ولو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى، لم يترك شيئا مما يقدر عليه؛ من الخضوع، والخشوع، وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه، على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به»(3).

إن التربية على مبدأ المراقبة الذاتية منذ الصغر، لها آثارها الإيجابية على حياة المسلم، وهي وقاية وحصانة من شرور كثيرة تشكو منها البشرية.

مساجد الإسلام .. في كل مكان

مسجد قباء .. جنوب المدينة المنورة

يُعد مسجد قباء الواقع في جنوب المدينة المنورة المسجد الأول الذي بني في تاريخ الإسلام، وتشير المراجع التاريخية إلى أن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بناه في السنة الأولى من الهجرة، وهو يبعد عن المسجد النبوي الشريف نحو 4 كيلومترات.

ويقع مسجد قباء في الجنوب الغربي من المدينة المنورة، ولا يبعد سوى أربعة كيلو مترات عن الحرم النبوي الشريف، ومرّ هذا المسجد بمراحل عدة في البناء والتوسعة كان آخرها في العهد السعودي قبل ربع قرن، بينما أضيف له فناء داخلي ظلل بنظام ميكانيكي يُفتح ويُقفل كهربائيا، وبلغت تكاليف توسعته نحو 90 مليون ريال وأصبح يستوعب الآن قرابة 20 ألف مصل.

وفي أرجاء المسجد وزواياه يكاد لا يُسمع سوى همس دعاء المصلين وقراءة القرآن، وآخرين يطلقون العنان لأبصارهم متأملين في عمارة المسجد وقبابه المنقوشة، والمحراب الذي جاء بهندسة وعمارة إسلامية مميزتين.

ويظل الإرشاد التوجيهي قائما ودليلا للزائرين في مسجد قباء، فلا وجود لمعتقدات خاطئة أمام شباب يتولون مهمة الإرشاد والتوجيه من داخل مسجد قباء في المدينة المنورة.

وعد قطعه الله على نفسه لعباده المؤمنين

«وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد»

قال تعالى﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ قال قتادة وأبو مالك والسدي « وأزلفت » أدنيت وقربت من المتقين (غير بعيد) وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب.

﴿32﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾

أي رجاع تائب مقلع (حفيظ) أي يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه وقال عبيد بن عمير الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل » . ﴿33﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾

﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾ أي من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله عز وجل

كقوله صلى الله عليه وسلم (ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه)

« وجاء بقلب منيب » أي ولقي الله عز وجل يوم القيامة بقلب منيب سليم إليه خاضع لديه.

﴿34﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾

(ادخلوها) أي الجنة (بسلام) قال قتادة سلموا من عذاب الله عز وجل وسلم عليهم ملائكة الله وقوله سبحانه وتعالى (ذلك يوم الخلود) أي يخلدون في الجنة فلا يموتون أبدا ولا يظعنون أبدا ولا يبغون عنها حولا .

﴿35﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

أي مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمر بن عثمان حدثنا بقية عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال من المزيد أن يمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون فأمطره لكم ؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم قال كثير لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن أمطرينا جواري مزينات وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له (إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشويا) وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن عامر الأحول عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة)

ورواه الترمذي وابن ماجة عن بندار عن معاذ بن هشام به وقال الترمذي حسن غريب وزاد : كما اشتهى وقوله تعالى (ولدينا مزيد) كقوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي أنها النظر إلى وجه الله الكريم وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله عز وجل (ولدينا مزيد) قال يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة وقد رواه الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعا فقال في مسنده أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثني موسى بن عبيدة حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبيد الله بن عمر أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام ببيضاء فيها نكتة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما هذه ؟ » فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل وما يوم المزيد ؟ » قال « إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كثب المسك فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من وراءهم على تلك الكثب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحيون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة هكذا أورده الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الأم وله طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رضي الله عنه بأبسط من هذا وذكر ههنا أثرا بطوله عن أنس بن مالك رضي الله عنه موقوفا وفيه غرائب كثيرة وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت ؟ فتقول أنا من المزيد وإنه ليكون عليها سبعون حلة أرقاها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » وهكذا رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به.